الفصل السادس

النموذج السادس
التربية من أجل إعداد الفرد لخدمة الصالح العام من التراث الأوروبى من القرن الرابع إلى الحادى عشر الميلادى

الفصل السادس
النموذج السادس
التربية من أجل إعداد الفرد لخدمة الصالح العام من التراث الأوروبى من القرن الرابع إلى الحادى عشر الميلادى

مقدمة :

بعد انتصار المسيحية على الوثنية انعقد مجمع دينى فى قرطاجنة عام ٣٩٨م أنتهى إلى إقرار عدة مبادئ كان من أهمها تحريم قراءة الأدب الوثنى على الاساقفة، وقد أدى ذلك القرار إلى حالة من الجمود العلمى والمعرفى، وأعقب ذلك عدة قرون عرفت باسم العصور المظلمة ذلك لأن رسالة الكنيسة انحصرت فى الناحية الخلقية وظهر اعتقاد مؤداه أن الثقافة والعلم وكل ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا فائدة منها. وتحملت الأديرة من القرن الرابع إلى القرن الثامن عشر عبء التربية .

وكانت قد ظهرت الرهينة أو التربية الديرية. والرهينة تعنى زهداً ورياضة Asceticism وكانت تستعمل فى ترويض المصارع قبل أن يدخل ميدان المصارعة البدنية. أما معناها المجازى فيتضمن " النظم التى يمكن بها اخضاع الشهوات الحسية. والعواطف الإنسانية حتى تتفرغ الروح وكذلك العقل لمهام الحياة الراقية ".

وتهدف إلى إكساب الفرد فيما خلقية تتمثل فى اختقار الألم والموت، وعدم الاكتراث بتقلبات الحظ، والأعراض عن الحياة الدنيا كما كانت تهدف إلى الوصول بالروح إلى أرقى درجات الكمال والبعد عن الحاجات الدنيوية بالصيام وبالتعذيب وبالرياضة البدنية المستمرة وكبح جماح النفس واخماد

طبيعتها البدنية. وقد ساد اعتقاد مؤداه أن الله لا يحكم دنيا المادة. ولا شأن له بصفة خاصة بالحياة الاجتماعية الفاسدة. لذا فإن الحياة المنشودة لا تكون بالأعراض عن الدنيا والبعد عنها تماماً. وساعد على ازدهار الرهينة الاضطهاد الدينى الذى لحق بالمسيحيين. مما جعلهم يلجأون إلى الصحارى والجبال منتظرين ظهور المسيح مرة ثانية. كما كانوا يعتقدون. ويستعدون لإستقبال الحياة الجديدة .

ظهرت هذه الحركة عام ٣٠٥م على يد انطونيوس الذى اعتصم بشاطئ البحر الاحمر. وعرض نفسه للحرمان والتعذيب. وكان بداية لحركات الرهينة من بعده. فانتقلت إلى بلاد اليونان على يد باسل Basil ثم الى روما على يد انتاسيوس عام ٣٢٤م . وفى عام ٥٢٩م استطاع بندكت Benedict أن يكون مجتمعا وضع له نظاما أساسه الاخلاق فى العبادة عن الشهوات . وتتلخص التربية فى الرهينة فى مثل عليا ثلاثة هى : الطهارة Chastity والفقر أو المسكنة Poverty والطاعة Obedience وتكتسب الطهارة عن طريق الاعراض عن الزواج . وبالتالى القضاء على الروابط العائلية وتحل محلها الروابط الدينية . ويهدد الفقر الى التخلىعن الميول المادية والتخلى عن كافة الممتلكات والحقوق الوراثية . كما تعنى الطاعة تنازل الراهب عن جميع تصرفاته وتصبح أرادته خاضعة لرئيسه . وفى هذا يكون الكمال الخلقى والنمو الروحى .

كان للحياة الدنيوية جانب ايجابى تمثل فى ايجاد عوامل جديدة فى البناء الاجتماعى . وصارت قوة تربوية تنفع المجتمع ويتمثل ذلك فى المثل العليا التى نادت بها . برغم أن حركة الرهبنة فى بدايتها لم يكن لها خطة

تربوية بالمعنى المعروف لان هدفها الاساسى اتسم بالطابع الخلقى والـديني غير أنه يمكن ايجاز نظمهم التعليمية فيما يلى :

هدف نظامهم التعليمى إلى عدم ترك العقل أو الروح وشأنهما حتـى لا يتجه الإنسان إلى الشرور والأثام. بل يجب شغلهما فى عمل دائب. وبذلك فرضت على الفرد اعمال يومية لمدة (٧) ساعات للعمل اليدوى والأدبى كما خصصت ساعتان يومياً تصل إلى خمس للقراءة .

اشترط فى القبول بالأديرة من كان عمره لا يقل عن ١٨ عاماً .

تضمنت برامج الدراسة فنون القراءة والكتابة والغناء وحساب التقويم الكنسى بجانب الدراسات الدينية .

لقد أهملت الحياة الدنيوية ثلاث مظاهر للحياة الاجتماعيـة وهـى : العائلة، والمجتمع الصناعى، والدولة. لكنهـا فـى نفـس الوقـت تميـزت كمؤسسات تربوية فقد انفردت بإعداد الفنى. وظهرت كجامعات تبحث وتنشر كما كانت أيضاً بمثابة مكتبات تحفظ فى إرجائها العلم والمعرفـة. ومـع أن مظاهر نشاطها فى هذه النواحى كـان ضـئيلاً. إلا أن حاجـات العـصر الاجتماعية آنذاك كانت أيضاً قليلة .

وبجانب حركة الرهينة ظهر التصوف Mysticism واللفظ مشتق من كلمة Mystrics أى الأسرار فى الديانة الأغريقية التى فيها تنتقل فكرة حبس الأشياء ورفعها من مجال النظر إلى فكرة أبعاد جميع المحسوسات عن الشخص كى يحظى بنعمة الكشف .

وللتصوف أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الدين والفلسفة أكبر بكثير من أهميته بالنسبة لتاريخ التعليم لأنه بطبيعته محدود الأثر فى عدد قليـل مـن

البشر إلا أنه يعتبر فى حد ذاته ذا أهمية خاصة لأنه أحد مظاهر الفكرة التهذيبية فى التربية .

ويرى المتصوفون أن الروح شئ مادى وغير فإن لانتمائها إلى عالم الأفكار والأرواح أى عالم الحقيقة. وطبيعة هذا العالم ثلاثية : جزء حيوانى مرتبط بالجسم. وجزء مفكر وله مظهر إنسانى. وجزء روحانى يرتفع عن مستوى الإنسانية وبواسطته يلتقى الإنسان بالعقل الاسمى ويمكن الوصول إلى أسمى الدرجات بالأرتقاء إلى عالم الفكر والأبتعاد عن العالم المادى العملى. ويمكن الوصول إلى اللانهائية الحقيقية عن طريق الفكر وعن طريق الانغماس فى أفكار الإنسان الذاتية لتفهمها ومعرفة أسرارها. وأول مراحل التربية تتمثل فى مرحلة التطهر وفيها يتخلص الفرد من الملذات المادية ويهتم بالأخلاق والفضائل الاجتماعية وتربية النفس على الطاعة وهى مرحلة جهاد للناحية الخارجية للحياة ثم تأتى مرحلة التنوير وهى مرحلة جهاد للنفس من الداخل. والمتصوف يقوم بالأعمال الطيبة بدون حاجة إلى تفكير عن طريق الصلاة والعبادة. ثم تأتى مرحلة الكشف. وهى الهدف الاسمى حيث ينكشف وجه الله للمتصوف فقط .

وينقسم التصوف إلى نوعين: التصوف الفلسفى القائم على التفكير ويختص به المثقفون والتصوف العملى ويختص به غير المثقفين حيث يصلون إلى التصوف عن طريق العبادة .

والفروسية ذات فصل على المجتمع الدنيوى يعادل فصل ما قدمته الديرية للحياة الدينية، فكلاهما رفع من شأن معنى الخدمة فى سبيل الصالح العام. وجعلت من الطاعة واحترام الذات مثلاً أعلى واحترام العظماء والرفق بالضعفاء والعطف على المساكين واحترام المرأة، كل هذه الصفات نتج عنه

تحسن كبير فى السلوك. وانتقل أثره من الفرسان إلى مجتمعاتهم فصارت سلوكاً اجتماعياً يتبعه الآخرون .

وقد انقسمت تربية الفارس إلى مرحلتين ، أولاهما مرحلة ما بين سن السابعة إلى سن الرابعة عشرة، وفى هذه المرحلة يبدأ الغلام حياته بخدمات بسيطة فى القلعة بخدمة السيدات حتى يتعلم مبادئ الحب والحرب والدين. أما مبادئ الحب فكانت لا تخرج عن التلطف والرقة والسلوك المحبب والكرم والألمام بتقاليد السلوك الحسن والأخلاق القويمة والقدرة على نظم الشعر والهدف من تعلم مبادئ الحب حماية الفارس من مساوى الغضب والحسد والبلادة والتهم والأفراط بكل أشكاله، وثانيهما مرحلة ما بين سن الرابعة عشرة والعشرين مرحلة البالغ Squire وفيها يتدرب الشاب على ركوب الخيل. والمبارزة. وفنون القتال والصيد والتدرب على اصابة الأهداف المتحركة سواء أكانت على ظهور الخيل أو فى السفن. وكان الصيد عامة والصيد بالصقور اعدادا وتدريباً على أعمال الحرب. وقد ساعد ذلك على نمو القدرة على مواجهة صعاب الحياة وعدم الاهتمام بالألم. والقدرة على تحمل الجوع والتعب. وإلى جانب ذلك يتدرب الفارس على العزف على القيثارة والغناء. ويكرس خدماته لتسلية نساء البلاط. كما كان يشترك فى قراءة أدب الفروسية. ولعب الشطرنج وكلما اقترب الشاب من سن الفروسية يبدأ الاهتمام بالجانب الدينى فيقوم بطقوس دينية لتطهيره، ويجب أن يبارك سيفه أحد القساوسة. وكان للفارس ولأبن : أحدهما مقدس تجاه الكنيسة والآخر دنيوى تجاه حاكم مقاطعته حتى يتمكن من الاحتفاظ بمنصبه. وكان ينظر إلى من يعرف القراءة والكتابة فى العصور الأولى للفروسية نظرة أقرب إلى التشبه بالنساء، أما فى عصورها

الأخيرة فقد انتشرت القراءة والكتابة. وكان الألمام باللغة الفرنسية. وهى لغة الفروسية – ضرورة. كما أن العنصر الأدبى فى تربية الفارس قد اقتصر على اتقان اللغة الفرنسية وعلى الغناء والموسيقى ولم يكن من الضرورة أن تضم الفروسية النبلاء جميعهم بل أنها لم تضم إلا أولئك الذين تقبلوا النهوض بأرقى الواجبات عن طيب خاطر فرفعوا من شأن الشجاعة وجعلوها وفقاً على خدمة الدين، واعلوا من شأن الفضيلة وجعلوها ذات صبغة اجتماعية، فلم تكن صفات الفروسية من الأمور الوراثية كما كانت تورث صفات النبالة. أى أن لقب فارس لم ينتقل من الأصول إلى الفروع بطريق التناسل. ومع ذلك فلم يعمل بالفروسية إلا من كان حراً مالكاً للأرض. قادراً على تقديم العون لمن هم دونه منزلة.